

المحاضرة الثالثة

name professor subject : Adel Rashid Hussein

اسم استاذ المادة : عادل رشيد حسين

Subject name : Geographical thought

اسم المادة : الفكر الجغرافي

اسم المحاضرة : الفكر الجغرافي عند الاغريق

Presentation neme : Geographical thought among the Greeks

الفكر الجغرافي عند الاغريق

اليونان من الأقوام الكثيرة التي تعرف بعائلة لغاتها «الأرية» أو اللغات - الهندية الأوربية، والأقوام التي تتكلم بهذه العائلة اللغوية ليست من جنس «عرق» واحد خالص ويرجع كثيراً أن مهدهم القديم كان في مكان ما في الواحات ومناطق المراعي في جنوب روسيا إلى بحر قزوين ، ويرجع البعض أن يكون وادي الدانوب الاعلى هو مهدهم الأصلي ، ويقدر الزمن الذي بدأ فيه فروع من هذه الأقوام تهاجر من مهدها الأصلي بحوالي بداية الألف الثاني ق.م .

ويعود سبب هجرة القبائل إلى فترات الجفاف واحلال القحط في موطنهم الأصلي اضافة إلى كثرة الخيرات في مراكز الحضارة القديمة التي اتجهوا إليها ومنها حضارة بهتر ايجة التي بدأت منذ اوائل ألف الثالث قبل الميلاد، والتصاق اليونانيين باطراح الحضارة الایجية ساعد على اقتباس اسس تلك الحضارة ومن ثم تطورها ووضعها في قالب جديد يجمع بين الحضارة الایجية وروح القبائل اليونانية المتكونة من خليط النورديين وعناصر حوض البحر المتوسط والقبائل الأخرى التي نزحت إلى بحر ايجة .

تعلموا فنون البحار بعد أن غزوا جزيرة كريت واحتضعوا لها لسيطرتهم ومن ثم بدأوا يدخلون التاريخ حيث أصبحوا قوة مؤثرة في المنطقة وفعلاً بسطوا نفوذهم على جميع بحر ايجة ووصلوا إلى آسيا الصغرى في أول مرحلة استعمارية لهم.

وكانَت البيئة الجغرافية التي سكَّنَها اليونانيون والمتَّمثَلة في الجزر العديدة اضافة إلى طبيعة المناخ، كل ذلك عمل على طبع العلم اليوناني بطابع معين يقوم على اساس التوافق بين امزجمتهم وطبيعة البيئة التي اتوا إليها ، واستخدموها استخداماً سليماً فبرزوا في عالمهم وكُونوا لهم ثقافة طبعت بطابعهم .

وبالرغم من ذلك فإنَّ هنالك حقيقة هامة جديرة بالاعتبار وينبغي أن نضعها دائمًا نصب عيننا، وهي أن تلك «المعجزة» اليونانية قد سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد النهرین وغيرهما من اقطار الشرق القديم ذات الحضارات العريقة المجيدة . ومعنى ذلك أن العلم اليوناني انما كان في حقيقته احياء أكثر منه اختراع .

ليس ثمة شك في أن الجغرافيا عند الاغريق قد حظيت عناية هامة ولا سيما في مظهرها الفلكي الخالب الذي استطاع أن يجلب انتباه فلاسفة الاغريق وحكمائهم ، ويمكن القول أن الجغرافيا قد احرزت على ايدي الاغريق تقدما كبيرا إلى حد بعيد فقد بدأت الجغرافيا لديهم كتأملات فلسفية ، ظلت طويلا مرتبطة بهذا الاطار التأملاني الفلسفى غير قادر على الفكاك منه والانطلاق إلى أن رسمت الحقيقة المتعلقة بكروية الأرض ، كما بدأت نظرية المناطق تدخل نطاق الفكر ، وحينئذ استقر للجغرافيا أساس ثابت امكن عليه تشييد صرح تقدمها وبذل الجهد لتطويرها ، وفي مجال تطور مفهوم الجغرافيا وفروعها فإن كافة الفروع الرئيسية للجغرافية قد نشأت وتأسست على ايدي الاغريق .

حتى أن كلمة الجغرافيا يعتقد بأن الفيلسوف اليوناني «ايراتوشبنس» هو أول من استخدم كلمة جغرافيا والتي تتكون من مقطعين هما (Geo) بمعنى الأرض و (Graphic) بمعنى انا اكتب او انا اصف فتعبر عن الكلمة المركبة وصف الأرض أو الكتابة عنها .

وحيث أن التداخل بين العلماء الجغرافيين واهم الخصائص التي امتازت بها الجغرافية في العصر الاغريقي قائماً ويبعد القراء عن وضوح الصورة للفكر الجغرافي الاغريقي فسوف نتابع الفكر الجغرافي الاغريقي من خلال تتبع الشخصيات الجغرافية الإغريقية ثم الوصول إلى أهم الأسس التي قامت عليها معرفة الفكر الجغرافي الاغريقي في عصره الأول أو ما يعرف بالعصر الهيليني.

(١) طاليس : ٦٢٤ - ٥٤٥ ق.م

عاش في مدينة «ميلطس» جماعة من المفكرين اولهم طاليس المشهور الذي شغل تفكيره بالبحث في المادة وفي جوهر الأشياء ، وقد جهد هؤلاء المفكرين في تفرييد مادة عامة وتجريدها من بين الموجودات وجعلها المادة الأولى في تركيب الأشياء ، وفي تفسير اختلافاتها وتغيراتها ، فرأى طاليس في عنصر الماء هذه المادة الأولى .

ويقول «هيرودوت» (٤٨٤ - ٤٢٥ ق. م) المؤرخ اليوناني ان طاليس من اصل فيينيقي ، وهذا يعني أنه تسبّع بالمعرفة التي تعود بجذورها إلى الحضارات القديمة العراقية المصرية .

سافر إلى مصر ودرس الفلك هناك وتعلم دورة الكسوف المتعاقبة وبذلك فهو أول الفلكيين اليونانيين .

وفيما يختص بانفصال الأرض عن السماء يرى طاليس أن الأرض استمرت تطفو فوق سطح الماء حتى تمكنت بذلك الحركة من الانفلات عن غطاء السماء فانفصلت .

لقد انعكست آثار البيئة الجغرافية على آراء طاليس فجاءت مؤكدة على أهمية الماء ودوره في الحياة .

ومن المحتمل أن طاليس تأثر بالفكرة البابلية القديمة القائمة على اساس أن الماء هو المبدأ الأول غير المخلوق .

يعرف بابي الجغرافيا ، وقد قام باول محاولة من نوعها في العالم بحيث استحق هذا اللقب بجدارة ، حيث قام بجمع معلومات هائلة من المعلومات الجغرافية طبيعية وبشرية وذلك عن طريق التجار اليونانيين الذين يجوبون البحار والمناطق المحيطة بالبحر المتوسط، وقام بتبويب تلك المعلومات ، ثم قام بوضع اول كتاب

جغرافي معروف وجعل عنوانه : الفترات الزمنية ، تناول في القسم الأول قارة اوربا واحتضن القسم الثاني بقارة آسيا وفي دراسته عن القارتين تناول الجوانب البشرية والطبيعية كدراسة الاقزام ودراسة المناخ والنبات والحيوان .

قام برسم خارطة للعالم ، ظهرت فيها الأرض مسطحة دائرية الشكل تحيط بها المياه من جميع الجهات ، وقد سبقه برسم هذه الخارطة « الكسندر » تلميذ طاليس الا أن هيكتايوس اجرى عليها بعض التحسينات بالقدر الذي يمكن اعتبار تلك الخارطة بداية للجغرافية الحقة .

ولا بد من التذكير من أن البابليين ومنذ العصر البابلي الاخير رسموا خارطة للعالم تبدو في اسسها مشابهة لخارطة هكباتايوس مع العلم أن خارطة بابل اقدم منها.

٣) هيرودوت :

يلقب هيرودوت با بي التاريخ وقد ولد في هليكارناسوس بين ظهراً ناري او لئلاً لا يغري في غرب آسيا الصغرى الذين بدأوا نهضة لا يغري الفعلية ، ويرجع انه ولد في عام ٤٨٥ ق.م وتوفي في حدود ٤٣٥ ق.م.

وهيروdot شانه شأنه اكثراً العلماء في اتساع معرفتهم وشمولية علمهم وعدم اقتصارها على فرع خاص من المعرفة ، فمع أنه يعتبر ابو التاريخ الا أن ذلك لا يمنع طول باعه في العلوم الأخرى ، وأقرب تلك العلوم إلى التاريخ هو علم الجغرافية .

لذلك فقد اهتم كثيراً بدراسة الظواهر الجغرافية باعتبارها القاعدة التي ينطلق منها النشاط البشري الذي يمثل حركة التاريخ.

ونشير إلى دور هيرودوت كجغرافي لأنه آتى برأي يخالف الآراء التي كانت سائدة في زمانه ، لقد أشرنا إلى أن هيكتايوس رسم خارطة ظهرت الأرض مسطحة دائرية ، الا ان هيرودوت اعتقد بأن العالم أطول في امتداده بين الشرق والغرب منه في امتداده بين الشمال والجنوب وكان يسخر من الذين يرسمون الأرض مستديرة و يجعلونها محاطة بالمياه .

لذلك رسم هيرودوت خريطة مخالفة في شكلها الخريطة هيكتايدس فقد اوضح البحر المتوسط باعتباره بحرة داخلية وجعله يتصل بالبحر الخارجي في الغرب عن طريق مضيق.

واعتقد بوجود اجزاء مجهولة من العالم لم يتم الكشف عنها ، وقد اثبتت الكشوف الجغرافية صحة ذلك الاعتقاد وقد اشارت خارطته إلى اتصل البحر الأحمر بالมหาط الهندي وارتباط البحر المتوسط ببحر خارجي .

كما ان معلوماته عن القارة الأوربية تعتبر المصدر الاساسي ، حيث انه قام بوصف رحلته إلى نهر الدانوب ، كما أنه قام بتقسيم المناطق المحيطة بالبحر المتوسط إلى القارات الثلاثة اوربا واسيا ، وافريقيا.

والملاحظ الخارطة هيرودوت يرى ان بعض اسماء الجبال وضعت لاسماء المين وكذلك وضعت اسماء السلسل الجبلية لفروع الأنهر ، كما هو الحال بالنسبة السلسلة جبال الكربات التي اعتبرها فرع من فروع نهر الدانوب .

اضافة إلى بعض الأخطاء التي وردت في اطوال المسافات ولكنها لا تعتبر اخطاء كبيرة اذا ما قورنت وقىست بالزمن الذي وضعت فيه فهي وضعت قبل حوالي اربع وعشرين قرنا من الزمن .

وبجانب ذلك يوجد عدد كبير من المفكرين الذين عاشوا في العصر الاغريقي الذي سبق عصر الاسكندر واهتموا بالجغرافية مع انهم عرروا بجوانب علمية اخرى . امثال ارسطوا الذي عرف كفيلسوف ولكنه كجغرافي قد أضاف كثيرا إلى الفكر الجغرافي الإغريقي ، وايفوروس وهو كاتب اغريقي الف كتابين عن العالم المعروفة ، انداك ، وكتياس الذي كان مختصا بالطب الذي وضع كتابا عن الهند والذي يعتبر من الكتب المهمة التي تناولت وصف الهند وصفة طبيعية وبشرية .

ولابد من الإشارة أن منتجات الاسكندر وعزواته ساعدت على اتساع أفق الفكر الجغرافي حيث ترتب على تلك الفتوحات اتساع الخارطة الجغرافية التي كانت قبل فتوحات الاسكندر معروفة لدى الاغريق ، كما أن طبيعة الاسكندر في فتوحاته واصطحابه لمجموعة من الجغرافيين واهتمامه بمعرفة طبيعية الأرض والسكان وطبيعة المناخ يضع الاسكندر في عداد المفكرين الجغرافيين ، وقد ساعد الاسكندر على نشر الحضارة الهلينية في جمع الأقطار الشرقية ، وكانت هذه الأقطار تعيش ببقايا من الحضارات الشرقية الأفلة مثل الحضارة البابلية والحضارة المصرية.

وكان من نتيجة ذلك التقاء الحضارات فتنج عن ذلك تأثير متبادل بين تلك الحضارات ، بحيث أصبحت الحضارة الهلينية القديمة تعتمد على اسس تجمع بين اسسها القديمة وبين ما اقتبسه من الحضارات التي أصبحت تكون بينة جديدة تتعامل فيها الحضارة الهلينية ، فظهرت نتائج جديدة ميزت الحضارة الهلينية الجديدة عن القديمة لذلك سميت الحضارة الجديدة بشبه الهلينية ، أو الهلنستية على الرغم من ان العصر الهلنستي يتميز بالتقدم العلمي في كافة المجالات الفكرية فقد كان للجغرافيا نصيب ملحوظ من هذا التقدم ادى الى تطورها على أساس الإفادة من العلوم الطبيعية والرياضية التي ازدهرت حينذاك .

١) هيكتاس

سبق غيره في الاشارة إلى دوران الأرض وثبتت السماء وما فيها من نجوم . فقد اعتقد بأن الأرض تدور بينما السماء ذات النجوم مستقرة ثابتة لا تتحرك اما الشمس والقمر فان كلا منها يدور حول الأرض .

٢) آريستاركوس :

أول من بين كييف، نهدي عن طريق استخدام المثلث الفيتاغوري إلى النسبة بين بعد كل من الشمس والقمر عن الأرض ، وقد نشر نظرية عن النظام الكوني القائمة على أساس أن النجوم ثابتة والشمس ساكنة لا تتحرك وان الأرض هي التي تتحرك حول الشمس في محيط دائرة تحتل الشمس مركزها. كما أنه أشار إلى محور الارض وميلانه .

٣) اراتوستين

يعتبر إمام الجغرافيين ومن اعظم علماء الاسكندرية ، كان في الأصل رياضية بارزا ولكنه كرس جانبا مهما من جهوده للجغرافية حيث قام بوضع مصنف جغرافي تناول فيه تطور الفكر الجغرافية الإغريقية ، كما انه اشار الى طريقة قياس الكرة الأرضية وقام بقياس محيط الأرض وقطرها مستخدمة نظام المثلثات ، وقدر محيط الأرض، ٦٦٠ ، ٢٦ ميلا وهذا قريب الطول الحقيقي والبالغ ٢٥ ، ٠٠٠ ميل ، وكذلك قدر قطر الأرض ، كما قام برسم خارطة العالم المعروف .

لقد انتهينا من الاشارة بايجاز الى اهم المفكرين الجغرافيين الاغريق مشيرين إلى وجود اعداد اخرى من العلماء ساهموا مساهمة فعالة في اتساع الأفق الجغرافي وتوضيح المعلومات الجغرافية وخاصة ما ارتبط منها بالطبيعة الاغريقية .

اما اهم خصائص الفكر الجغرافي الاغريقي فهي :

٤) خضوع الفكر الجغرافي للطبع الفلسفى

حيث طغت على بحوثهم العلمية و اذا حلنا كلمة الفلسفة ، وهي كلمة يونانية مركبة تعني (حب الحكم) وتشمل البحث في الظواهر الطبيعية والذي تدخله في العصر الحديث من دائرة العلم ، اما التفكير والنظر في تجارب البشر وحياتهم فندعوه الأن فلسفة . و اذا حلنا القسم الأول مما تعنيه الفلسفة نراه يقع ضمن دائرة المعرفة الجغرافية ، لذلك فان الفلسفه اليونانيين اهتموا كثيرا بالمعرفة الجغرافية باعتبارها تدرس الظواهر الطبيعية وتاثيرها على الانسان وبالعكس .

٢) استخدام علم الرياضيات لخدمة الجغرافية

امتاز الفكر الجغرافي باستخدام الرياضيات استخداماً واسعاً سواءً أكان ذلك في حساب حجم الأرض أو المسافة بين الكواكب السيارة حتى أن بعض العلماء الرياضيين اتجهوا اتجاهها جغرافياً حتى نتج عن استخدام الرياضيات فرع جديد من فروع الجغرافية الرياضية . ومن الذين اهتموا بهذا العلم طاليس ٥٨٠ ق . م وارسطو واراتوسطين .

٣) تبويب الجغرافية وتقسيمها إلى الفروع الرئيسية :

كانت الجغرافية لديهم تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما، الجغرافية الفلكية وتتركز حول دراسة الكرة الأرضية وابعادها وعلاقتها بالمجموعة الشمسية وخطوط الطول ودوائر العرض وحركة الأرض وما يرتبط بالسماء ، ثم الجغرافية الوصفية والإقليمية وتشمل وصف البلدان والاقاليم مرکزة على البيئة الإغريقية في الدرجة الأولى وقد اضيف إلى هذه الفروع فرع الجغرافية الرياضية وبداية لفرع الجغرافية النباتية .

٤) الاهتمام برسم الخرائط :

امتازت الجغرافية الإغريقية باستخدام الخارطة استخداماً واسعاً ، فرسمت خرائط للعالم المعروفة آنذاك وتبينت في وقتها وشمولها ، ومن هذه الخرائط خريطة هيرودت للعالم وخربيطة هيكاتا يوس وخربيطة إراتوستيت للشرق والغرب .